الحوار في الفكر الإسلامي ضرورة شرعية وإنسانية

أستاذ مشارك د. حسن حميد عبيد الغرباوي
جامعة عدن . كلية التربية / عدن . قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

ففي ظل التطورات والتحديات الهائلة الراهنة , المطروحة بإلحاح على العالمين العربي والإسلامي . يبدو الحديث حول القضايا الهامة التي تشغل الفكر الإسلامي المعاصر , والآمال الكبرى التي يحتضنها في مفاهيمه وخطاباته وقضاياه من موجبات المرحلة وضرورات العصر الراهن . وذلك لكي تساهم المضامين الفكرية والمعرفية والثقافية الإسلامية في توجيه حركة الواقع وصولاً إلى المشاركة في صياغة مستقبل الأمة والوطن والإنسانية.

والفكر كالكائن الحي يتطور مع الزمن , واستجابته الفعالة للتحديات والتطورات , تعني تكثيف مرحلة التطور والتحول الفكري , بما يستجيب لأسئلة الواقع وتحدياته . ولأن فكراً لا يتواصل مع نبضات واقعه . ويستجيب لمتطلباته , ويتناغم وحقائق الكون والتاريخ , فان مآله الانزواء والتخلف عن ركب الحضارة والعصر .

ففي مناخات التواصل مع العصر , يستطيع الفكر الإسلامي المعاصر , أن يدرك قيمة هذا التواصل . كونه عملية فكرية اجتماعية إنسانية , يتواصل فيها الأمس واليوم والغد في حوار وتفاعل مستمرين .

والذي يدرك سنة التدافع والصراع , وأطرافه وميادينه , وأسلحته , ومساراته , يصبح قادراً على حسن تسخيره , والفقه بنتائجه , ويمتلك القدرة على المداخلة والمحاورة والمناظرة , والتحكم , ومغالبة سنة بسنة , أو قدر بقدر , ويمتلك القدرة على الحركة في كل الظروف وإيجاد مساحات لزرع الحقيقة وتنميتها .

وقضية الحوار مع الآخر , وإعادة النظر بمواصفات الخطاب الإسلامي المعاصر , وأدوات تأصيله , ووسائل إبلاغه على مختلف الأصعدة , لم تعد خياراً للمسلم , في عصر ثورة المعلومات والاتصالات , وتطور وسائل الإعلام حتى يكاد العالم يصبح قرية إعلامية صغيرة .

فكيف نحاور الثقافات والحضارات إذاً من دون أن نعيد قراءة خطابنا الإسلامي, ونتحاور فيما بيننا مهما اختلفنا في الفروع .. وهذا البحث إلماعة يسيرة على هذا النهج القويم

في عالم متغير متحول , يموج من حولنا يوميًا بالأفكار والاكتشافات والتحديات وثورة الاتصالات .

أولاً : الحوار ، الواقع والمنهج :

حينما نتحدث عن الحوار فإننا ننفتح على مفهوم يحرك التواصل الإنساني. ويمثل نقل كل عناصر الفكر الإنساني بكل خصائصه الثقافية والشعورية للإنسان الآخر الذي يقوم بالدور نفسه بالنسبة إلى هذا الشخص . من هنا فان معنى الحوار هو أن يكون الإنسان اجتماعيًّا , واللاحوار يعني موت الحركية الإنسانية بالنسبة إلى الآخر , أي يعيش كل إنسان معزولاً عن الإنسان الآخر . فإن الحوار كان أساسيًّا في الفكر الديني والإسلامي بالذات .

ومن المفيد هنا, أن نشير إلى أن الصراع , أو التدافع , أو التداول , أو الحوار الحضاري , سنة اجتماعية , من سنن الله ﷻ وقوانينه التي لا تتخلف ولا تتبدل , كما أنها سنه فردية أيضاً فالإنسان الفرد . ليس خارجًا عن دائرة الصراع والتدافع الذاتي , في الاختيار بين دوافع الخير , ونوازع الشر في نفسه , لأن في ذلك تتحدد حرية الإنسان في الاختيار , وتتميز كرامته, ويبين فضله , والشر من لوازم الخير , وبضدها تتميز الأشياء .

فالصراع والتدافع , هو سبيل الحيوية , والنمو والازدياد , وعلامة الحياة والاستمرار , ابتداءً من الخلية , وانتهاءً بالحياة الحية .. وهو إحدى محركات الحياة الاجتماعية , وامتداد التاريخ البشري , وله صوره المتعددة , من الحوار والمفاكرة والمثاقفة , والمناظرة , والقتال , والمواجهة , والمنافسة , والسباق , والمغالبة , كلها صور ومعارك منها : المشروع المحكوم بضوابط ليست من وضع الإنسان , ومنها ما يستعمل وسائل غير مشروعة , وكل ذلك يقع ضمن دائرة الصراع الحضاري , الذي يندفع من عقائد وأنساق معرفية , ورؤى قيمية , وأنماط حياتية وسلوكية تمتاز بخصوصيتها , وتسعى للبرهنة على أحقيتها وإثبات وجودها .

والصراع بين الخير والشر , والعدل والظلم , والحب والحقد , والعفو والثأر , والإيثار والأثرة , والحق والباطل , وبعبارة أخرى : الصراع بين المعروف والمنكر , لا يتوقف إلاّ بتوقف الحياة .

إنها ابتلاءات الحياة ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾(1) ، وقال ﷻ :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(2) . وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾(3) .

ولعل من مظاهر رحمة الله ﷻ هذا التدافع والاختلاف , الذي من خلاله يتحصحص الحق ويتمحص , وبسببه تنجو الحقيقة من الدمار , والخير من الجفاف , قال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ﴾ [٤] ، وقال ﷻ : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [٥] ، وقال ﷻ : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٦] .

فالاختلاف بين أفراد البشر أمر طبيعي بل إنه آية من آيات الله ﷻ في الخلق ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ﴾ [٧]. والاختلاف داخل ضمن قسمة رحمة الله بين عباده في الدنيا للابتلاء والاختبار ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ [٨] ، وقال ﷻ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾ [٩] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ ﴾ [١٠] .

ولذلك فإن من أخطر ميادين التدافع الحضاري , وإن شئت فقل : الحوار الحضاري , وما الحوار إلاّ صورة من صورة التدافع ــ مشكلة تحديد المفاهيم والمصطلحات والمفردات المعرفية , التي تعبر عن الثوابت الحضارية والمرجعية الثقافية , أو ما يمكن أن نعبر عنه بعالم الأفكار والعقائد , هي وسائل التحصين , وأسلحة التدافع , وأدوات الحوار الحضاري . لذلك فإن الغفلة عن مدلول المفاهيم الشائعة يعدُّ من الغفلة عن الأسلحة , وأول مراحل الوهن والاغتراب , قال ﷻ : ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [١١].

فلا بد من التبصر والتفقه والتدقيق الكامل في فحص المفاهيم والمصطلحات الإسلامية السائدة واختبارها , والتعرف على منطلقاتها وأهدافها ودلالاتها وخلفياتها الثقافية . لأنها تشكل أوعية التفكير وجذوع النسغ الحضاري الممتد من الماضي والحاضر والمستقبل .

ومن هنا فإن الحوار مع الآخر وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي , للوصول إلى قناعات معينة , أو للوصول إلى صيغ مشتركة , للتفاهم والتعاون مطلب إسلامي . وإحدى وسائل الدعوة والبلاغ المبين .

والحوار لغة : يعني تبادل الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد[١٢] ، ومن هذا التعريف اللغوي نستطيع إدراك أن للحوار أركانه , الأول : وجود طرفين للحوار أو أكثر , والثاني : وجود قضية تخضع للمناقشة والأخذ والرد فيها .

وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاث مواضع وهي :

- قوله ﷻ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[١٣] .
- وقوله ﷻ : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[١٤] .
- وقوله ﷻ : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾[١٥] .

ويتضح من هذه المواضع الثلاثة أن الحوار فيها هو تبادل الكلام وتداوله بين الطرفين والأخذ والرد فيه . وقد عبر القرآن عن الحوار أحياناً بالجدال بالتي هي أحسن ، كما في قوله ﷻ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١٦] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[١٧] .

وقد ورد الجدل من غير إضافة في القرآن الكريم تسعاً وعشرين مرة أكثرها في سياق الذم, وذلك حينما يكون الجدل لإلزام الخصم وليس لإظهار الحق , فالجدل غالباً يعبر عن شدة الخصومة واللدد فيها مع القدرة عليها , والتعصب للرأي وإن كان باطلاً .

ولم يقتصر القرآن على الأمر بالمجادلة , و إنما نص على أسلوبها , واشترط أن يكون بالتي هي أحسن , حتى لا يكون منفِّراً , وحتى يحقق الاقتناع عن اختيار , ولا يشكل حاجزاً نفسيًّا بين الآخر والإسلام , ولاسيما إن الإسلام لا يخص جنساً , ولا لوناً , ولا قوماً.

وأحسب أن المبادرة بالحوار والدعوة إليه , يجب أن تبدأ من المسلم , وأن يكون المسلم أكثر حرصاً عليها من الآخر . ولعلي أرى في قوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا

﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[١٨]. تكليفاً شرعيًّا لا يخص عصراً بعينه, ولا حادثة بعينها , ولا يجوز أن يعدَّ سبب النزول قيداً لخلود النص , وتجرده عن حدود الزمان والمكان .

فمقتضى خلود النص يعني : أن التكليف جار وقائم في كل زمان ومكان ، والدعوة إلى الحوار واللقاء بالآخر , ومحاججته بالتي هي أحسن , وظيفة المسلم , لإلحاق الرحمة بالناس .

وما يمتلك المسلم من قيم سماوية معصومة منزلة من رب العالمين , وشخصية حضارية وثقافية , وتجربة تاريخية فذة , تجعله في موقع مكين , يدفعه إلى الإيجابية وطلب الحوار , ويجعل مكاسبه من الحوار مقدرة ابتداءً , ذلك أن الآخر سوف يتأثر على كل حال , وليس بالضرورة أن تظهر النتائج بشكل سريع , فكثير من الصحابة ﷺ سمع القرآن لأكثر من عشر سنوات , وكان الحوار بالقرآن , وكان المحاور الرسول ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم , وجاء إيمانهم متأخِّراً , ومع ذلك أبلوا في الإسلام بلاءً حسناً , وانتصر هذا الدين على أيديهم في معارك كثيرة , فكرية , أو فقهية , أو عسكرية[١٩] .

ونلحظ أن الحوار الأول الذي سجله القرآن الكريم كان حوار الله ﷻ مع إبليس . فإبليس رفض السجود لآدم ، لكنه لم يرفض فرصة الحوار مع الله , وقد عبر عما في نفسه , وقدم طلبه إلى الله بعد أن رفضه ﷻ , ثم بعد أن قبل طلبه عبر عن خطته ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٢٠] .

فنلحظ أن الله ﷻ أجابه بعد ذلك ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[٢١] .

هذا الحوار بين الله ﷻ رب الكون وبين إبليس يعطينا فكرة أن المخلوق حتى لو كان متمرِّداً فإنه لا يفقد فرصة الحوار مع خالقه ، فالله ﷻ يعطيه الفرصة ليتحدث عما في نفسه.كما يجيبه على ما يحتاج إلى إجابة .

والأمر الثاني الذي نتوصل إليه من هذا ، هو أنه ليس هناك شخص مرفوض في الحوار . فبإمكانك أن تحاور أي إنسان مهما كانت درجة سقوطه الإنساني والديني أو الاجتماعي والسياسي . إن الله ﷻ قد حاور إبليس ، فمن هو الذي يتجاوز موقع إبليس في الشر ، ولاسيما إننا نعرف أن الحوار لا يعني الاعتراف بالآخر ، أي باعتباره حالة شرعية ، ولكنه اعتراف بوجود الآخر الذي ينعكس عليه وجودك سلباً أو إيجاباً ، مما يفرض عليك أن تتفهمه ، لتعرف كيف تصون نفسك منه ، وكيف يمكن أن تتعامل معه لو قدر لك أن تغوص

معه في أي درجة من درجات التعاون ، ولكي تمنحه الفرصة في أن يفهمك ، مما يمكنه أن ينجذب إليك .

وهكذا نجد أن الله ﷻ أعطانا تجربة ثانية وهي حوار الله ﷻ مع الملائكة . هنا حوار مع رمز الخير وهناك حوار مع رمز الشر ، فالله ﷻ حينما أراد أن يجعل في الأرض خليفة أراد أن يضع الملائكة في الصورة مما يدل على أن الله يريد لخلقه القريبين منه أن يعرفوا ما هناك . وربما يعني ذلك أن للملائكة دوراً وظيفيًّا مما قد توحي به الآثار ، فجعل ﷻ لكل ظاهرة كونية فريقًا من الملائكة يحركها أو يتدخل في طريق إدارة أوضاعها أو ما إلى ذلك .

فنحن نجد أن الله ﷻ أدار الحوار مع الملائكة ، حول هذا الإنسان الذي جعله خليفة ، وترك للملائكة أن يعلقوا على الموضوع ، فقال ﷻ :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) .

ثم ليس من الضروري أن يكون اعتراضاً ، لأنهم ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾(٢٣) ، ولكن من أجل أن يكون الحوار فرصة للمعرفة ولاسيما إذا كان الحوار مع الله الذي يخلق ما يشاء ويختار . وهكذا نجد أن الله ﷻ تقبل تعليقهم بخصوص هذا الإنسان ، هذا المخلوق الذي سيجعله خليفة .

وهكذا أراد الله ﷻ أن يدخل الإنسان في هذا الجو ، أن يدخل أدم في تجربة مع الملائكة ، ليتمثل الملائكة أن هذا المخلوق الجديد الذي اعترضوا عليه يملك علماً لا يعلمه الملائكة ، فجعل هذا الإنسان الخليفة الأرضي موضع احترام الملائكة ، لأنه يعلم مالا يعلمون ، لقد علمه الله ﷻ مالا يعلمون(٢٤) .

وفي هذا المجال لا بد من القول إن التنوع والتعددية لا يعنيان الفوضى أو غياب الناظم في عملية التنافس الاجتماعي والحضاري ،وإنما الناظم الذي يضبط حركة التنوع في المجتمع هو ناظم (سيادة القيم) ، التي تشكل المرجعية العليا في المجتمع بأسره، ولذلك فإن التنوع في حقيقته وجوهره ، هو خلق بيئة ومناخ يدفعان كل مواطن وإنسان إلى المشاركة الفاعلة في بناء الوطن وتعزيز قدراته المختلفة ، ومنظومة القيم التي تضبط هذه العملية ، هي التي تسبغ الحيوية والفاعلية على أفراد المجتمع ،ولذلك قال ﷻ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾(٢٥) ، وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٢٦) .

فالتنوع في حالته الأولية يعني وجود حالة من الصلة الحقيقية والتفاعل المثمر بين الأنا والآخر، وهذه الصلة وهذا التفاعل هما الحياة والتطلع الذي ينشده الإنسان السوي ، كما أن التخلف الفكري والحضاري وما ينتجه من جمود وحرفية وضيق في الأفق ، هو الأرضية التي تبذر بذور الآحادية في التفكير ، وتحارب الآخر ، وتمنع الحوار والتلاقي وتحول كل حالة تنوع في المجتمع إلى حالة صراعية ــ قاتلة ــ ، ومبددة لطاقات المجتمع بدلاً من أن تكون ظاهرة ثراء للبنيان الاجتماعي .

ويمكن القول على المستوى التاريخي إن حالة التعدد والتنوع في الدائرة الإسلامية شملت الأبعاد الداخلية والخارجية ، إذ إن جسم الأمة تتنوع بداخله وتتفاعل فيه مجموعة من المدارس الفقهية والفكرية والاجتماعية والأقليات الدينية التي كانت تعيش في كنف الأمة الإسلامية ، إذ إن المجتمع الإسلامي يؤمن بمبدأ الاعتراف باختلاف الشرائع لفئات اجتماعية تتعايش مع المسلمين في رقعة جغرافية واحدة .

وجماع القول إن التنوع في إطار الوحدة في مقاربته النهائية ، يتطابق مع مفاهيم أكد عليها الإسلام وعدَّها جزءاً من منظومته القيمية والفكرية . ويمكن تحديد مفهوم التنوع بشكل أكثر دقة بأنه الجواب الايجابي لحالة الاختلافات الطبيعية التي تعيشها الأمم والشعوب ، فبدل أن تتحول هذه الاختلافات إلى مداخل لنفي الآخرين ، بالتنوع في إطار الوحدة تتحول جميع هذه الأمور إلى ثروة وإغناء للوجود الاجتماعي والحضاري للمسلمين(٢٧) .

والحال فإن الحوار هو خيار أصيل ، وخيار الفكر الناضج حينما يريد أن يجذب الفكر الآخر ويتقاسم معه الحقيقة بلغة الحوار ، وليس بلغة العنف كما ادعى ذلك (لفي شتراوس) . ولم يكن العنف إلا مظهراً من مظاهر الفكر الفاقد للمصداقية ومبررات البقاء ، والحوار هو مظهر من مظاهر الفكر الذي يجتهد ويجاهد من اجل إحقاق الحق من دون الادعاء بامتلاك ناصية الحقيقة واحتكارها . فالحوار هو أن ندخل مجال الإقناع والتفاهم والتعايش بلغة الفكر ذاته . حوار يبدأ من السلام وينتهي إليه ، وليس الحوار الذي يبدأ من السلام لينتهي إلى الحرب حين فشل هذا الطرف أو ذاك في إحراز الانتصار .

وليس الحوار الذي يبدأ بالحرب وينتهي إلى السلام حين لا يكون أمامه مندوحة للدخول مرغماً إلى مجال الحوار . لنقتنع أولاً بأن الحوار أصيل ، وليس شيئاً ثانويًّا ، وليس بديلاً يفرضه تعادل البطش والعنف بين الأطراف المتصارعة ... الحوار أولاً وأخيراً.

(والبداية في الحوار هي احترام كل طرف لنظيره وتسليمه الضمني بأن ما لدى الأنا لا يعلو على ما لدى الآخر والعكس صحيح بالقدر نفسه ، فالحوار لا يعرف بين الأعلى والأدنى بل يعرف العلاقة بين الأكفاء . هؤلاء الذين يعرفون أن العقل هو أعدل الأشياء.

توزعاً بين الناس كما قيل عن ديكارت الفيلسوف ، وناتج الحوار هو ناتج العقل الجدلي ، تغيير نوعي في الأطراف المتحاورة ، المتقابلة ، المتعارضة ، تغيير يجعل من نقطة النهاية مخالفة لنقطة البداية حتماً ، ذلك لأن فعل الحوار نفسه كفعل الجدل ، يؤلف بين عناصره المتقابلة الواقعة بين أطرافه المتعارضة ويصوغ منها ما يستوعب الأطراف كلها ويتجاوزها في آن ، صانعاً بذلك بداية أخرى لحوار آخر لا يكف عن التحول والتولد)[٢٨] .

ومن متطلبات العدالة الانفتاح على جميع الاجتهادات الثقافية والفكرية في الأمة لانتخاب أصوبها وأصلحها ، والابتعاد عن الاعتبارات السوداء التي تمنع عملية الانفتاح على الاجتهادات المطروحة في الساحة .

ومن هنا يطرح السؤال نفسه ...من يحاور من ؟

انه في الحقيقة مظهر من مظاهر الحوار مع الذات ... فالمسلم الذي يجد نفسه عاجزاً عن التواصل مع المسلم الآخر ، سيفشل حتماً في إجراء حوار مع الآخر غير المسلم ، فالمسلم الذي يواجه أخاه بالعنف ، ويدَّعى أنه في مكان يؤهله للتخطيء والتصويب ، إنما هو يحجب حقيقة أخرى هي أنه يعيش حرباً في داخله ، حربا مع قناعاته .

وكلما ازدادت قسوة المحاربين لفكره ، فإنه يختزن ذلك إلى حين تفجيره في الآخر الذي يتقاسم معه الحقيقة.

والرؤية الإسلامية للإنسان (الجنس) هو أكرم مخلوقات الله ، وتكريمه ماثل في كيانه المتميز من سائر المخلوقات ، بما فطره الله عليه من قابليات وقدرات هيأت له إدراك المؤثرات الكونية ، والانفعال بها , والاستجابة لها بكل ما ركب فيه من حواس وعقل وطاقات ، تجعله قادراً على التفكير والتأمل والتدبر والتوقع واستشراف المستقبل ، والاختيار الحر المسؤول في الفكر وفي العمل ، وفي قدرته على تخطي محددات السياق الزمكاني .

واستناداً إلى تميز الإنسان في تكوينه البدني والعقلي والنفسي فقد استخلفه الله في عمران الأرض ، وجعله سيداً في هذا الكون , وسخر له الطبيعة وما أودع فيها من قوى وظواهر وطيبات فقال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾[٢٩] .

وأفراد الجنس الإنساني متساوون في عبوديتهم لله وحده ، لا تمايز بينهم إلا بالتقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣٠] ، والمساواة بين الناس لا تنفي اختلافهم في الأمزجة والطباع وتعدد النمط الاجتماعي للشخصية ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣١) . وقوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ (٣٢) .

وهـذا يعني أن الإسلام يقر التنوع الثقافي ويراه وسـيلة لإثـراء حيـاة النـاس لا لتصارعهم ، ويؤكد على أن التنوع الثقافي والألسنة المتعددة نعمة من نعم الله عز وجل قـال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ ﴾ (٣٣) ، ودعا القـران الكريم الناس في الثقافات المختلفة إلى التعارف والتعاضد ، لتأدية الوظائف التي تمكن الإنسان من إعمار الأرض وأداء أمانة الاستخلاف ، والاستمتاع بما أودع الله في الكون من طاقـات وإمكانـات ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣٤) .

والتبادل الثقافي والتعارف والحوار الذي يدعو إليه الإسـلام مـشروط فـي غاياتـه وموضوعاته وأساليبه بأن لا يكون تبادلاً أو مشاركة فيما يُناقض عقيدة الإسلام أو شريعته قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (٣٥).

ويمنع التبادل الثقافي والمشاركة الثقافية ــ في الرؤية الإسلامية ــ مع أهل الثقافـات الذين يقاتلون المسلمين ، أو يخرجونهم من ديارهم ، ومع من يظاهرون الآخرين على قتـال المسلمين وإخراجهم من ديارهم قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣٦) .

وقد حث القران الكريم في آيات كثيرة إلى وجوب إعمال العقل بمفردات مختلفة منها: النظر ، والتدبر ، والإثبات بالبرهان ، والبينة ، والمجادلة بالحسنى ، والحكمة ، والفقه ، منها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٣٧) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) ، وقـولـه تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣٩)، وقوله تعالى : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ (٤٠).

وينهى القران الكريم عن إتباع الظن : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا ﴾(٤١) ، وينهى عن الاعتماد في الاعتقاد أو القول أو العمل على ما دون العلم : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾(٤٢).

ويدعو الإسلام إلى احترام ذوي العقائد الدينية الأخرى ويرفض القهر والإرهاب والإكراه لحمل الناس على الإيمان برأي أو فكر أو عقيدة ، فقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٤٣) ، وقال ﷻ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٤٤) .

وبيَّن القران الكريم طريقة الدعوة بجلاء وكان الرسول ﷺ الداعية الأول وتمثلها ﷺ نهجاً وفعلاً ، وهي طريقة تعتمد الحوار والتبليغ ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾(٤٥) ، وقوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾(٤٦) ، وقوله ﷻ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾(٤٧) ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾(٤٨) ، وقال ﷻ : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٤٩) ، وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٥٠).

ولنشر الدعوة ، قال الرسول الكريم ﷺ : (لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجالاً يدعونهم إلى الإسلام ويرغبونهم في الدين فأبعث فلاناً وفلاناً)(٥١) .

وللرسول ﷺ في حلقات تعليمه أسلوب إنساني راقٍ ، يقرئ أصحابه القرآن كما نزل ، موضحاً أحكامه ومفسراً ما غمض من معانيه ، ويرشدهم بآداب الإسلام ، ويتخولهم الموعظة بعد الموعظة ، ويبين لهم عمليًا كيف تكون العبادة : في الصلاة يقول : (صلوا كما رأيتموني أصلي) وفي الحج يقول : (خذوا عني مناسككم)(٥٢) . لم يُعنف أحداً في تعليمه ، فالمعلم (خير من المُعنف) كما يقول ، ولم يضق صدره لأحد ، يأتيه الأعرابي بكل خشونة البداوة ويقول يا رسول الله : إني أعرابي جافٍ فعلمني ، فيعلمه ﷺ بكل رفق(٥٣) ، لذلك أثنى عليه ربه بقوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾(٥٤).

إذًا لم يكن العنف في يوم من الأيام طبيعة متأصلة في هذا الدين ، ولا وسيلة من وسائل دعوته ، وتاريخ ما يُعرف بالعنف في الإسلام أن يقرأ في سياقاته التاريخية ، وأهم

سياق يجب أن يقرأ فيه ، هو زمن النبوة التي كان فيها القرار الإسلامي يشكل الموقف الإسلامي الشرعي .

ووقتئذٍ لم يكن العنف إلا مُقدساً ، أي دفاعاً عن الحقوق المغتصبة وحماية الدولة من غزو الأجنبي وتسلط القوى على دعوة الإسلام . نقول هذا ونحن لسنا من المنكرين لما يجب أن يكون عليه الإسلام ، وهو في اندفاعه نحو بناء كيانه وانتزاع حقوقه ، فهنا له مساحة حددها الإسلام وبقدرٍ معين من الموضوعية لممارسة الجهاد في أبعاده المختلفة من دون أن يختزل الجهاد في أعمال العنف التي كثيراً ما كانت ذات أسباب غير خالصة ، وكما أن الجهاد يكون بالسيف والرمح والقتال ، فهو كذلك يكون بالكلمة ، وقد تكون الكلمة أفضل وأجدى ، ولأن كان الجهاد بالسيف يكون في محيط الأعداء فقط ، فالجهاد بالكلمة يكون للأعداء وللأصدقاء في الداخل والخارج ، بل يكون في كل وقت ومكان ولكل جنس ، يكون للكفار ، ويكون للمنافقين بالحجة والبرهان , قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[٥٥] ، وقال ﷻ : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[٥٦] ، وفي الحديث : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[٥٧] ، ويكون للنفوس بالمنطق والبيان[٥٨] .

ولعل كل العقلاء من هذه الامة يدركون أن إعمال السيوف على رقاب بعضهم بعضًا عمل لا يليق بسمعة هذا الدين ولا يتناغم مع تطلعاته التي جاءت أساساً للقضاء على كل أشكال العنف .

إن مسحة سريعة للنصوص القرآنية والسيرة النبوية تظهر لنا الاعتدالية الوسطية المعقولة في منهج الحوار . فالله ﷻ يأمر الرسول ﷺ أن يدخل المشركين في نقاش حرٍّ وجادٍّ حتى في أقدس المقدسات ويأمره أن يعلن استعداده لقبول أي نتيجة يصل إليها النقد والحوار إذا كانت حقيقة ... ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾[٥٩] .

وهكذا أدرك الصحابة الفرق بين الاحترام والتقديس في شخص النبي ﷺ ، فلم يسكتوا عن واحدةٍ في نفوسهم بل ناقشوا واستفسروا أحب الناس إليهم وأقدسهم ، و لم يكن أحد منهم يستشعر في حواره انتقاصاً من شخصه ﷺ ، بل يرى أنه فريضة ولم يكن في الوقت نفسه من يرى أن الاحترام يتنافى مع الحوار والمناقشة ـــ ولعل أجلى الصور التي توضح هذه الحقيقة موقف الحباب بن المنذر مع النبي ﷺ في بدر (عندما نزل النبي ﷺ أدنى ماء من بدر فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو أن نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ... فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ...)[٦٠] .

وقد اشتبه عليه الأمر بين المقدّس وغيره ، فاستفسر عنه ولم يكن لينتقد وحيًّا ، لأنه يعلم أن في ذلك سراً وأمراً مراداً في علم الله ، وهو على إيمانه بتأييد الله ﷻ لرسوله ، وإلا لو لم يكن مقتنعاً بما في الوحي من تدبير حكيم لاعترض , فلما تبين له أن الوحي لم يفرض نفسه هنا مارس الحوار لرأي النبي ﷺ بحرية ووعي .

وهكذا نجد النبي ﷺ يحاور الآخرين وينهي الحوار في حالةٍ ، ويفتحه في حالةٍ أخرى , ولعل قمة المنهج الموضوعي القرآني في الحوار هي ما جاء في قوله ﷻ : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٦١].

ثانيا :الحوار الإسلامي ـ الإسلامي، وماذا نريد منه:

إننا في هذا الوقت في أشد الحاجة إلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة ، وذلك لا يتم إلا من خلال تلاقي العلماء والمفكرين والموجهين الذين يرشدون هذه الأمة إلى الغايات الكبرى والأهداف السامية، وما ينبغي أن تكون عليه هذه الأمة في هذا الظرف العصيب ، إذ تواجه تحديات متعددة الأشكال مختلفة الأهداف ، بعيدة التصورات ، وكل ذلك يعود على الأمة بألوان متعددة من الوقوع في الأزمات والانحطاط في مستواها لمواجهة هذه التحديات .

إن مجرد فتح ملف الحوار الإسلامي ــ الإسلامي يشير بشكل أو بآخر إلى التحديات التي تقف في طريقه على الرغم من كونه مُسلمة فكرية نظرية تقوم على أرضية عدد هائل من النصوص القرآنية والإسلامية ، فضلاً عن أن إيجاده يعد مسلمة عقلية وحاجة ظرفية وثابتة لا معنى للإنسانية من دونها ، فالحوار أمر مهم من الناحية العملية ، ومن الناحية الحضارية ، بل هو ضرورة ملحة للوصول إلى موقف محدد وموحد أمام هذه المشكلات التي نعانيها .

وقد عُرف عن العلماء قديماً وحديثاً ألوان مختلفة من الحوار ، فإذا ما صدقت العزيمة وتحقق الإخلاص وتجرد الإنسان عن العصبيات التي توارثها من الماضي ، وأراد أن يصل بأمته إلى المستوى الإنساني الرفيع وإثبات ذاتية الأمة ووجودها الحضاري بالمعنى السليم ، حينئذٍ يمكن أن يكون للحوار تأثيره وتحقيق الغاية المرجوة منه .

فالعلماء في الماضي كانوا يجرون ألواناً من الحوار ، سواء في ميدان الكتابة أم ميدان الجدل والمناظرة ، أم في مجال المطارحات الكلامية في حلقات الدروس بين الأساتذة والتلاميذ ، وأحيانًا يأتي بوجهات نظر الآخرين ويذكر أدلتهم وقد تكون هذه الأدلة هي كل الأدلة المطلوبة وقد يكون بعضها هو المطلوب ، لكن أمانة العالم تقتضي أن يُحيط بكل وجهات النظر والأدلة التي يعتمد عليها الآخرون ، ثم يتصدى بعد ذلك للرد عليها وتفنيدها وإيجاد فكر معين لمواجهة هذه المشكلات .

إن فتح باب الحوار يعني تهيئة الأرضية الواقعية والنظرية للشروع في معرفة الذات والآخر ، من أجل نقد موضوعي يقف عند الخطأ ويثمن الصواب ، وينتصر للحقيقة ، ويشجع بالمقابل على إيجاد سبل التفاهم الاجتماعي من أجل مسيرة هذه الأمة التي مازالت تتخبط في وحل التخلف الحضاري . فلم يعد الحوار اختياراً يمكن التفكير فيه أو نتباطأ في اتخاذ الخطوات تجاهه . بل أصبح ضرورة ملحة ، لأن الصراع بوتيرته الحالية وحجمه يتجه بقطار التنمية والنهوض نحو الكارثة التي تجرف الكل من دون استثناء .

ومن هنا ، تبدو أهمية الحوار داخل الحالة الإسلامية اليوم ، وهو حوار تقوم فلسفته على إعادة بناء العقل الإسلامي من جديد ، لدفعه نحو الآخر ، بعد أن تربى ولمدة طويلة عبر أدبيات الحركة الإسلامية ، على القطيعة مع الآخر والانكفاء على الذات . ولا شك أن هذا الاندفاع تجاه الآخر يهدف إلى تكوين ذهنية جديدة تعطي للآخر الشرعية الكاملة في المماثلة والتعبير عن الذات والفكرة . وهذه القاعدة قد يتفرع عنها ضوابط وحدود تضمن للحوار الاستمرار والإيجابية ، وهما مطلبان استراتيجيان .

ثالثًا: كيف نفهم الاختلاف وضرورة الحوار لمواجهة التحديات؟:

يجب أن يعلم الذين يريدون جمع الناس على رأي واحد في أحكام العبادات والمعاملات ونحوها من فروع الدين ، أنهم يريدون ما لا يمكن وقوعه ، ومحاولتهم رفع الخلاف لا تُثمر إلا بتوسيع دائرة الخلاف ، وهي محاولات تدل على سذاجة بينة ، ذلك أن الاختلاف في فهم الأحكام الشرعية غير الأساسية ضرورة لا بد منها . وإنما أوجبت هذه الضرورة طبيعة الدين، وطبيعة اللغة ، وطبيعة البشر ، وطبيعة الكون والحياة(٦٢) . ولهذا اجتهد الصحابة واختلفوا في أمور جزئية كثيرة، ولم يضيقوا ذرعاً بذلك. بل نجد خليفةً راشداً من أئمة الهدى ــ وهو عمر بن عبد العزيز ــ يرى بما أوتي من علم وبصيرة ، في اختلاف الصحابة سعةً ورحمة فيقول : ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رُخصة(٦٣) .

وروى ابن عبد البر النمري بسنده إلى يحيى بن سعيد قال : ما برح أولو الفتوى يفتون ، فيحل هذا ، ويحرم هذا ، فلا يرى المحرّم أن المحل هلك لتحليله ، ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه(٦٤) .

بل أقول إن الخلاف وجد في عهد النبي ﷺ فأقره ولم ينكره ، كما في قضية صلاة العصر في بني قريظة ، وهي مشهورة وفي غيرها من القضايا .

وقد ذكر لنا القران الكريم أن الملائكة قد اختلفوا بل اختصموا بينهم وذلك بقوله ﷻ :

﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(٦٥) .

وأن الأنبياء قد اختلفوا فيما بينهم ، فقد اختلف داود وابنه سليمان (عليهما السلام) في حكم الغنم ، إذ نفشت في زرع القوم ، وأشار القرآن الكريم إلى أن الصواب كان مع الابن ، ولكنه أثنى على الاثنين جميعاً فقال ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٦٦] .

واختلف موسى والخضر (عليهما السلام) في مواقف ثلاثة انتهت بافتراقهما ، ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[٦٧].

وثبت في الحديث أيضًا اختلاف داود وسليمان في شأن المرأتين اللتين اختصمتا في طفل تدعي كل منهما أنه ابنها ، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة (كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن أحداهما ، فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك . فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه ، فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينكما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى)[٦٨] .

وإذا كان الاختلاف والاختصام قد وقع بين أكرم الخلق على الله ﷻ من الملائكة الكرام والأنبياء العظام ، لاختلاف زوايا الرؤية ، ووجهات النظر ، واتساع العلم وضيقه ، فكيف نطمع أن نمحو الخلاف بين غيرهم ممن لا عصمة لهم ، وليس فيهم ملك مقرب ولا نبي مكرم ؟

ولهذا كان بعض العلماء يقول إجماعهم حجة قاطعة ، واختلافهم رحمة واسعة . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا ، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً ، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ، ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة[٦٩] .

وبعد أن عرفنا وفهمنا أن الاختلاف في الفروع ضرورة من ناحية ، ورحمة من ناحية أخرى عرفنا أيضاً أن الاختلاف ثروة ، تتسع به الثروة الفقهية التشريعية ، وبالمقابل يصبح تعدد المشارب وتنوع المسالك في الحركة الاجتهادية الإسلامية كنوزًا لا يقدر قدرها ، وثروة لا يعرف قيمتها إلا أهل العلم والبحث عن الحق والحقيقة . ولذلك **فلا بد للحوار من أسس ومبادئ أخلاقية ومنهجية أوجزها بما يأتي :**

١- الإخلاص لله وحدة، والتجرد للحق، ومجاهدة النفس حتى تتحرر من اتباع هواها أو أهواء غيرها . لأن اتباع الهوى لون من الشرك ولهذا قال السلف : شر إله عبد في الأرض الهوى ، وذلك لأنه يضل الإنسان عن الحق على الرغم من علمه به ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ

إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٧٠) .

٢- التحرر من التعصب للأشخاص و المذاهب والطوائف ، فلا تسبغ الشرعية الملزمة على مواقف التشخيص وعلى التصرفات الشخصية ، وإجبار الآخرين على تبنيها من دون أي سند شرعي ملزم ، واتهام الآخرين الذين لا ينقادون لهذا الرأي بالمروق عن الرأي الشرعي ، لأن التفكير غير المنطقي قد أدى الى ما نراه اليوم من تفرق وتمزق وحقد وكراهية بين الأمة الواحدة ، فكل جماعة أو فئة أو طائفة أو مذهب تعدُّ نفسها أنها على الحق وأنها الفرقة الناجية وأنها تملك الحقيقة المطلقة ، أما الآخرون فهم في ضلال وعلى باطل ومصيرهم إلى النار . وإذا كان التعصب يؤدي إلى الانغلاق والانطواء على الذات وعدم رؤية غيرهم ، فإن الحوار يعني انفتاح كل طرف على الطرف الأخر ، والتعرف على القواسم المشتركة بين المسلمين ، وأن مما يجمعهم لأنهم مسلمون أكثر مما يختلفون فيه .

٣- أن يكون المحاور أو المناظر عالماً أو صاحب رأي عنده القدرة على معرفة الدليل والنظر في الأدلة المختلفة ، واستخلاص الحكم منها ومعرفة وجه الحق منها. لقوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٧١) ، ولذلك يجب أن لا نشرك في الحوار أنصاف العلماء ، لأنهم يخربون أكثر مما يعمرون ويفرقون ولا يجمعون ، وهم يحملون أفكارًا معينة ويريدون فرضها على الفريق الآخر ، لأنهم يحفظون بعض الحجج والأدلة وليس لهم فهمٌ شموليٌّ بالإسلام ومنهجه(٧٢) .

٤- أن لا يفكر كل طرف مسبقًا في الانتصار على الطرف الآخر ، والنتيجة انهزام الطرفين ، لأن كل طرف لن يرضى لنفسه بانتصار الطرف الآخر عليه ، بينما منطق القران الحكيم في الحوار ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٧٣) ، فاستيعاب هذه الآية يساهم في إعادة تشكيل العقل المسلم ، إذ تجذبه للحوار وبمنهجية موضوعية متوازنة توحي للطرف الآخر بضرورة تقصي الحق وقصد الحقيقة ، فما نريده من الحوار هو أن نعرف أين نختلف ؟ وأين نتفق ؟ ونؤسس الاختلاف أو الخلاف على أسس علميه محكمة ونجردها من التعصبات ونحررها من التزييف التاريخي والكلامي والسياسي والاجتماعي ، ونؤسس الاتفاق على قاعدة علمية رصينة وثابتة ، وعن هذه المنهجية يقول السيد مرتضى العسكري : (لن يتحقق أي تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس الخلاف والبحث عن منشئها ثم المبادرة إلى علاجها)(٧٤) .

٥- تقيد كل المتناظرين والمتحاورين بالقول الحسن ، وترك الطعن والتجريح أو السخرية والازدراء والاحتقار لوجهة النظر التي يعرضها مناظره ومحاوره ، لأنه قد يكون مصيباً وأنت المخطئ ، إذ لا يقين في الاجتهادات بصواب أحد القولين ، وكل ما تملك في هذا المجال هو الترجيح ، والترجيح لا يعني القطع أو اليقين . وهذا هو نهج السلف في اختلافهم في الاجتهاد ، فلم يجرِّح بعضهم بعضاً ، بل أثنى بعضهم على بعض على الرغم مما اختلفوا فيه . وهكذا قام التعاطي بين أهل الفقه على الاجتهاد المعترف بأحكام الخطأ ، فإن اختلفوا قالوا بالاجتهاد والخطأ ولم يقولوا بالطعن والتجريح والتكفير ، لأن صاحب النهج التكفيري يمتطي حصان الحرب الضروس ويمتشق سيف التكفير ، ويقوم بتسليطه على رقاب خصومه من العباد ، فإما معنا وإما علينا ، ولا حل وسط ولا دعوة للحوار والنقاش للمعطيات الموضوعية ، بل تقريع وتقريع مضاد(٧٥) ، وإن من المؤسف اليوم أن نجد بين المشتغلين بالدعوة إلى الإسلام من يشهر سيف الذم والتجريح لكل من يخالفه متهماً إياه بقلة الدين ، أو بإتباع الهوى أو بالابتداع والانحراف أو بالنفاق ، وربما بالكفر وكثير من هؤلاء لا يقتصرون في الحكم على الظواهر ، بل يتهمون النيات والسرائر التي لا يعلم حقيقة ما فيها إلا الله ﷻ ، كأنما شقوا عن قلوب العباد واطلعوا على دخائلها(٧٦) . ولعل من أفضل وأحسن أمثلة أدب الاختلاف : تلك الرسالة العلمية الرائعة التي بعث بها فقيه مصر وإمامها وعالمها الليث بن سعد إلى الإمام مالك ، يعرض فيها وجهة نظره في أدب جم رفيع ، حول كثير مما كان يذهب إليه الإمام مالك ويخالفه فيه الليث بن سعد ، ونظراً إلى طول الرسالة نقتطف منها ما يشير إلى ذلك الأدب الجم الرفيع ، الذي اختلف في ظله سلف هذه الأمة وكرام علمائها(٧٧) . يقول الليث بن سعد : (... سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد عافانا الله وإياك ، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة ، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني ، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره ، والزيادة من إحسانه) ثم يذكر من أمثلة الاختلاف بينه وبين الإمام مالك قضايا عديدة منها الجمع ليلة المطر ، والقضاء بشاهد ويمين ، ومؤخر الصداق لا يقبض إلا عند الفراق ، وتقديم الصلاة على الخطبة في الاستسقاء ... وقضايا خلافية أخرى ، ثم قال في نهاية الرسالة : (وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا ــ وأنا أحب توفيق الله إياك ، وطول بقائك ، لما أرجو للناس في ذلك من منفعة ، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك ، مع استئناسي بمكانك وإن نأت الدار فهذه منزلتك عندي ، ورأيي فيك ، فاستيقنه ، ولا تترك الكتاب إلي بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك ، وحاجة إن كانت لك ، أو لأحد يوصل بك ، فإني أسر بذلك ، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد الله ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا ، وتمام ما انعم به علينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)(٧٨) .

٦- إن الشعور بالحاجة إلى الحوار ينبغي أن لا يكون وليد ردات فعل عاطفية ، ومحاولة إسكات الناس عن التنديد والتذمر تجاه الانشقاقات والخلافات بين المسلمين ، وإنما تتبني الحاجة إلى هذا الحوار على القناعة التامة بإيجابية هذه الأداة وضرورتها في بلورة الرأي الصحيح .

٧- ضرورة أن يخرج الحوار من إشكاليات الماضي ورواسب الواقع إلى تجديد خطاب فكري ثقافي حضاري للوحدة الإسلامية ، يتأسس على المعطيات الجديدة في الوضع الإسلامي ، والتحولات العالمية الكبرى ، وعلى قراءة جديدة وواعية للمستقبل وحساباته الشاملة . فخطاب الوحدة الإسلامية ينبغي أن يتجدد ويصاغ بعقلية معرفية جديدة ، يشترك في تأسيسه وصياغته كل الفرقاء وعبر منهجية الحوار ... وهكذا كان الصحابة ﷺ لا يضيعون الوقت والجهد إلا فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير ، وكانوا يبتعدون عن الجدليات التي لا تأتي بخير[٧٩] .

٨- الحوار بالتي هي أحسن : فإن من الدعائم الأساسية في أدب الاختلاف الحوار بالحسنى ، وإذا استعملنا التعبير القرآني قلنا الجدال بالتي هي أحسن ، وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز بقوله ﷻ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٨٠] ، وسر ذلك : أن الموعظة ترجع ــ عادة ــ إلى الموافقين الملتزمين بالمبدأ والفكرة ، فهم لا يحتاجون إلا إلى موعظة تذكرهم , وترقق قلوبهم وتجلوا صدأهم وتقوي عزائمهم, في حين يوجه الجدال عادة إلى المخالفين الذين قد يدفع الخلاف معهم إلى شيء من القسوة في التعبير ، أو الخشونة في التعامل أو العنف في الجدال ، فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال أو الحوار ، حتى يؤتي أكله . ومن هذه الطرائق أو الأساليب أن يختار المجادل أرق التعبيرات وألطفها في مخاطبة الطرف الأخر , ولهذا استعمل القرآن في مخاطبة اليهود والنصارى ، تعبيراً له إيحاؤه ودلالته في التقريب بينهم وبين المسلمين ، وهو تعبير (أهل الكتاب) أو (الذين أوتوا الكتاب) ولهذا جاء في القران الكريم قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[٨١] ، وقوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[٨٢] ،وقوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾[٨٣] ، حتى المشركون الوثنيون لم يخاطبهم القرآن الكريم بقوله : (يا أيها المشركون) بل كان يناديهم بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ . وإنما اصطدم الإسلام

بالشرك ، واقتتل المسلمون والمشركون ، لأنهم لم يقابلوه بمثل منطقه ، بل قالوا : لنا ديننا ، وليس لك دينك ، ولنا عملنا ، وليس لك عملك ، من حقنا أن نعبد الأوثان وندعو إليها ، وليس من حقك أن تعبد الله وتدعو إليه ، ومن اتبعك على دينك بإرادته واختياره كان علينا أن نفتته عن دينه .

ومن أساليب الحوار بالحسنى: التركيز على نقاط الالتقاء ومواضع الاتفاق بينك وبين من تحاوره. وهو أسلوب قرآني يجب أن نتعرف عليه , فهو يقول في حوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(٨٤) ، وقوله : ﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٨٥) ، وقال ﷻ في سورة أخرى ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ﴾(٨٦) ، فإذا كان هذا موقف المسلم ممن يجادله من أهل الكتاب الذين يخالفونه في عقيدته ، وأصل دينه ولا يؤمنون بأن محمدًا رسول الله ﷺ ، ولا أن القران هو كتاب الله ، ولا أن الإسلام هو شريعة الله ، فكيف ينبغي أن يكون من أخيه المسلم الذي يؤمن بكل ما يؤمن به من عقيدة وشريعة ورسول وكتاب . ومجادلات الرسل مع أقوامهم ، كما حكاها القرآن الكريم ، تحمل معنى الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ، حوار فيه الرفق والتلطف واستعمال ألين العبارات في الدعوة والحوار. وهذا ما يحسن بالدعاة والمفكرين المسلمين أن يحرصوا عليه ويدققوا فيه ، لأن الكلمة العنيفة لا لزوم لها ولا ثمرة تجتنى من ورائها , ولأن الحوار الذي يصحبه العنف والإكراه والاتهام، فالأغلب أنه يفسد الود ، ويعكر صفاء الأنفس بل قد يخشى إذا ذهب الود أن لا يعود مرة أخرى ، ولذلك فإن حسن اختيار الجمل والعبارات المناسبة في بعض الأحيان يحل مشكلات ويفض اشتباكات . كيف والتوجهات النبوية تأمر بالتبشير وتنهى عن التنفير، ففي الحديث المتفق عليه عن أنس ﷺ أنه ﷺ قال : (يَسِّرُوا ولا تعسّروا وبشروا ولا تنفروا) ، ولا شك أن الجدال بالتي هي أحسن هو من سمات المؤمنين وهو من سمات حملة الهداية ، فالمسلم كما قال الرسول ﷺ : (ليس المسلم بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء)(٨٧) .

٩- التركيز على الشباب في تثبيت قيم الحوار لديهم والتحرك معهم في كل المراكز الإسلامية، وتوعية أصحاب الوعي الجاهل، ونقصد بهم الذين يعانون من الجهل المركب. فإن الاعتماد على الشباب هو تنفيذ لوصايا الرسول ﷺ الذي قال : (عليكم بالشباب فإنهم أرقُّ أفئدة) ، وقال فيهم : (الشباب لهم حدَّة في أذهانهم)(٨٨) .

وبناء على ما تقدم فإننا إذا سمونا لمستوى الحوار فحينئذٍ يكون للحوار أهميته ، وندرك فوائده ونحقق أبعاده على المستقبل البعيد . وعلى الرغم من كل ذلك فالحوار نعمة ربانية أقره ﷻ في كتابه الكريم ، فسجل أمثلة من روائع الحوار ، بين الكافر والمؤمن ، بين

الرسول وقومه ، بل إن هناك حواراً بين الله ﷻ وبين عبده النبي عيسى عليه السلام . والحوار هو ركيزة لتجديد الفكر وصقل الرأي للوصول إلى القناعة السليمة تجاه مستجدات القضايا المتسارعة ، وهو خطوة نحو التوازن بين الحاجات المتعددة ، لأن الحوار يؤكد على التعددية في الرأي والمشورة ، ويرفض العنف والدكتاتورية ، ويؤكد على الأخوة والصداقة الفكرية بدلاً من العداوة والبغضاء ، والمشروع الإسلامي دعوة للتعددية الحضارية . وكل عقلاء هذه الأمة يدركون ضرورة وأهمية الحوار الإسلامي – الإسلامي والحوار الإسلامي مع الآخر وفوائده على مستقبل الأمة ، لأن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية واحدة ، لا تفرق بين قطر وآخر ، ولا بين مذهب وآخر ولا بين طائفة وأخرى ولا بين جماعة وأخرى ... بل إن المستهدف في النهاية هي الأمة الإسلامية بجميع مذاهبها وثقافاتها وطوائفها وثرواتها .

وهذا العصر الذي يمتاز بالتكتلات الاقتصادية العملاقة ، وبالوسائل الإعلامية الضخمة وبالقوى السياسة المتماسكة ، لا يمكن أن تحترم إلا الأمة القوية المتماسكة الصلبة ، أما الأمة المتفتتة والمتناحرة والمتنازعة فستكون فريسة سهلة لكل طامع وحاسد ومتربص . ومن منطلق الوعي بكل هذه التحديات الهائلة المختلفة التي تواجه الأمة الإسلامية ... من منطلق هذا الإحساس بالخطر والتحدي ، تبدو الدعوة للحوار والجلوس على مائدة النقاش العلمي والفكري الهادئ ، بعيداً عن روح التعصب والأنانية أمرًا ملحًّا ، وضرورة لا يمكن تجاهلها . والسلم الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل مناخ التسامح الفكري والثقافي ، واحترام التعددية ، وضمان حقوق الإنسان وسيادة العدالة والقانون والانفتاح على كل الشرائع والتحاور معها في كل ما يخدم المجتمع .

وقد تقدم المسلمون حضارياً في العهد الإسلامي الأول وفيما بعده ، لأنهم كانوا يتغلبون على مشاكلهم واختلافاتهم بالحوار , ولم تكن الاختلافات التي حدثت بين المسلمين من قديم الزمان لتحول دون التعاون والتشاور والتحاور فيما يرتبط بقضايا المسلمين الكبرى . فالحوار بين أبناء الأمة سيكون أحد المقدمات الرئيسة لتجاوز ظاهرة التفرق والتمزق والتشرذم الذي نعيشه اليوم .

وإذا كان الإنسان المعاصر يبحث عن رسالة الخلاص وإذا كنا نعتقد أن الإسلام هو الرسالة المنقذة التي تنتظرها الإنسانية فإن هذه الرسالة لا يمكن أن تقدم مجزأة متصارعة مع نفسها ، ولا يصح أن تعرض متخلفة عن فهم حاجات الإنسان المعاصرة . وإذا كان هنالك تشتت وتخلف فهو ليس من جوهر الرسالة ، وإنما من موقف الأفراد الذين يحملونها . لذلك فإن المسلمين بحاجة ماسة إلى هذا الحوار الداخلي ، وبحاجة أيضًا إلى حوار آخر مع أهل

الكتاب للوصول إلى الكلمة السواء التي دعا إليها القرآن الكريم ، وبحاجة إلى حوار إنساني شامل تتطلبه واجبات الدعوة إلى الإسلام .

وهكذا فإن إدراك تحولات العالم وتطوراته لا يكفي للانخراط الفعال في شؤون العصر وقضاياه المصيرية . وإنما ينبغي أن يرافق هذا الإدراك والاستيعاب تجديد رؤيتنا وفهمنا للإسلام, لأن تجديد رؤيتنا إلى الإسلام هو سبيلنا لتجاوز حالة الشعور بالعجز وانعدام القدرة أمام التحولات الهائلة التي تجري في العالم على مختلف الصُّعُد والمستويات ، فالمعركة الحضارية في الفضاء العربي والإسلامي لن تكتسب إلا بالإسلام والتجديد والنهضة الشاملة .

ومع ذلك يبقى الخطاب الإسلامي اليوم هو أكثر نضجاً وإدراكاً لحاجاته الحقيقية ، وأكثر تفهماً للواقع الإسلامي والعالمي ، وعنده من المرونة ما تجعله على استعداد لتقبل التجديد والتطوير . وهكذا في رؤيته للغرب التي نلمس فيها تطورًا وتحسناً وتأكيدًا على الحوار والتعايش والتعاون ، وهي خيارات بديلة عن القطيعة والصدام والمواجهة ، وقراءة هذه العلاقة انطلاقاً من رؤية معرفية والعمل على تحسين صورة الإسلام في المجتمعات الغربية ، ورفع ما علق على هذه الصورة من تشويه ، مع السعي إلى بلورة خطاب إسلامي خاص بتلك المجتمعات ، وهذا ما أكدت عليه الندوات والمؤتمرات الإسلامية الجديدة .

ولفقهاء الإسلام ودعاته في كل عصر وزمان أن يعيدوا النظر في أقوالهم ويجتهدوا بالذي ينسجم مع عصرهم ، ومستوى تفكير الحضارة في زمانهم ، منطلقين من الأصول نفسها التي تقيد بها الأولون[٨٩] .

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

(١) سورة المائدة ٤٨ .
(٢) سورة هود ١١٨-١١٩ .
(٣) سورة محمد ٤ .
(٤) سورة الحج ٤٠ .
(٥) سورة البقرة ٢٥١ .
(٦) سورة الرعد ١٧ .
(٧) سورة الروم ٢٢ .
(٨) سورة الزخرف ٣٢ .
(٩) سورة هود ١١٨ .
(١٠) سورة الفرقان ٢٠ ، المجيدي : د عبد السلام مقبل : لا إنكار في مسائل الخلاف . كتاب الأمة ، العدد ٩٤ ، ط١ ، قطر ٢٠٠٣ م .
(١١) سورة النساء ١٠٢ .
(١٢) الجوهري : الصحاح ، مادة (الحوار) ، ٢ / ٥٥٤ ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٩م .
(١٣) سورة المجادلة ١ .
(١٤) سورة الكهف ٣٤ .
(١٥) سورة الكهف ٣٧ .
(١٦) النحل ١٢٥ .
(١٧) سورة العنكبوت ٤٦ .
(١٨) سورة آل عمران ٦٤ .
(١٩) القديدي : د . احمد : الإسلام وصراع الحضارات ، كتاب الأمة (٤٤) ، ط١ ، قطر ١٩٩٥ ، ص ٢٧ .
(٢٠) سورة الأعراف ١٦ .
(٢١) سورة الحجر ٤٢ .
(٢٢) سورة البقرة ٣٠ .
(٢٣) سورة الأنبياء ٢٧ .
(٢٤) فضل الله : محمد حسين :الحوار في القرآن ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ص ب ، وينظر : فضل الله : مستقبل الحوار الإسلامي ــ الإسلامي من اجل بناء مستقبلنا المشترك ، ط١ ، مطبعة الفلاح ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٩ وما بعدها .
(٢٥) سورة يوسف ١٠٨ .
(٢٦) سورة الأنعام ١٥٣ .

(٢٧) محفوظ : محمد : الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٩٩م ، ص ٢٢ وما بعدها بتصرف .
(٢٨) عصفور : جابر : هوامش على دفتر التنوير ، المركز الثقافي ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص ٢٦٥ .
(٢٩) سورة لقمان ٢٠ .
(٣٠) سورة الحجرات ١٣ .
(٣١) سورة هود ١١٨-١١٩ .
(٣٢) سورة المائدة ٤٨ .
(٣٣) سورة الروم ٢٢٠ .
(٣٤) سورة الحجرات ١٣ .
(٣٥) سورة البقرة ١٠٩ .
(٣٦) سورة الممتحنة ٨-٩ ، عبد الحليم : احمد المهدي : السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد (٢٩) ، ٢٠٠٢م ، ص ٨٠ ــ ٨٣ .
(٣٧) سورة محمد ٢٤ .
(٣٨) سورة البقرة ١١١ .
(٣٩) النحل ١٢٥ .
(٤٠) سورة الأنفال ٤٢ .
(٤١) سورة النجم ٢٨ .
(٤٢) سورة الإسراء ٣٦ .
(٤٣) سورة يونس ٩٩ .
(٤٤) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٤٥) سورة المائدة ٦٧ .
(٤٦) سورة آل عمران ٢٠ .
(٤٧) سورة يوسف ١٠٨ .
(٤٨) سورة الأنعام ١٠٨ .
(٤٩) سورة البقرة ١١١ .
(٥٠) سورة سبأ ٢٤ .
(٥١) الدينوري : ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ط٢ , طبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٧ ، ج ١ / ٢ .
(٥٢) موسوعة السنة ، الكتب الستة وشروحها ، إعداد : بدر الدين جتين آر ، ط٢ ، دار الدعوة ، تونس ، ١٩٩٢ ، سنن النسائي ٥ / ٢٦٩ ، حديث رقم : ٣٠٦٠ .
(٥٣) النصري : الحافظ عبد الرحمن بن صفوان : تأريخ أبي زرعة الدمشقي ، تحقيق : شكر الله ، د . ت ، ج ١ / ٣١٢ .
(٥٤) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٥٥) سورة التوبة ٧٣ .
(٥٦) سورة الفرقان ٥٢ .

(٥٧) انظر الجامع الصغير ، رواه احمد وأبو داود .
(٥٨) الواعي : د. توفيق :الدعوة الى الله ،ط١، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٨٦، ص٥٣ .
(٥٩) سورة الزخرف ٨١ .
(٦٠) ابن هشام : تهذيب سيرة ابن هشام : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د . ت ، ص ١٤٣ .
(٦١) سورة سبأ ٢٤ .
(٦٢) القرضاوي : د . يوسف : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص٤١ .
(٦٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ط المنيرية ، ٨٠/١ .
(٦٤) المصدر السابق ،١ /٨٠ .
(٦٥) سورة ص ٦٩ .
(٦٦) سورة الانبياء ٧٩ .
(٦٧) سورة الكهف ٧٨ .
(٦٨) متفق عليه ، ينظر : اللؤلؤ والمرجان ، حديث ١١٢١ ، ورواه البخاري في كتاب الأنبياء ، ومسلم في كتاب الأقضية .
(٦٩) لمزيد من التفصيل ينظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم ٨٠/١ ، والشاطبي : الاعتصام ، تعليق : السيد رشيد رضا ، ٢ / ١٦٨ ــ ١٧١ . وينظر : الدهلوي : حجة الله البالغة ، تحقيق : سيد سابق ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، مصر ، د .ت ، ١٤٥/١ .
(٧٠) سورة الجاثية ٢٣ .
(٧١) سورة النساء ٨٣ .
(٧٢) ينظر : الواعي : مصدر سابق ، ص٣٠٠ وينظر : د. محمد خليفة حسن : الحوار بين الأديان ، مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، الإمارات ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٨ ، وينظر : د. محسن عبد الحميد : المنهج الشمولي في فهم الإسلام ، ط١ ، دار إحسان ، ١٩٩٥ ، ص٣٧ وما بعدها .
(٧٣) سورة سبأ ٢٤ .
(٧٤) العسكري : السيد مرتضى : معالم المدرستين ، بحوث ممهدة لتوحيد كلمة المسلمين ، مؤسسة البعثة ، طهران ١ / ٢٣ .
(٧٥) ينظر : الواعي ، مصدر سابق ، ص ٣٠٤ ، ومحفوظ ، مصدر سابق ، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .
(٧٦) القرضاوي ، مصدر سابق ، ص١٣٧ــ ١٣٩ بتصرف .
(٧٧) العلواني : د . طه جابر ، نقلا عن كتاب (ادب الاختلاف في الاسلام) ، كتاب الامة ، رقم (٩) ، ص ١٢٠ ــ ١٢٢ .
(٧٨) ابن القيم الجوزية : اعلام الموقعين ، مطبعة الكليات الازهرية ، ١٩٦٨ ، ٣ / ٨٣ ــ ٨٨ ، وينظر : مدارج السالكين ، دار السنة المحمدية ، ١ / ١٩٦ ــ ١٩٨ .
(٧٩) الواعي : مصدر سابق ، ص٣٠١.
(٨٠) سورة النحل ١٢٥ .
(٨١) سورة النساء ١٧١ .

(٨٢) سورة آل عمران ٦٤ .

(٨٣) سورة المائدة ١٥ .

(٨٤) سورة العنكبوت ٤٦ .

(٨٥) سورة العنكبوت ٤٦ .

(٨٦) سورة البقرة ١٣٩.

(٨٧) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن برقم ١٩٧٥، واحمد ١٦٥/٣، ٢٤١، وابن ماجه برقم (٤١٨٥) .

(٨٨) للمزيد ينظر : القرضاوي : مصدر سابق ، ص ١٤٦ وما بعدها ، والقديدي ، ص ٢٦ وما بعدها .

(٨٩) الزحيلي : د . وهبة :الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، محاضرة قدمت إلى مؤتمر الفقه الإسلامي العالمي ، الرياض ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٢٣ ــ ٢٤ ، وينظر : العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٣٣ .